

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين سيما خليفة الله في الأرضين، واللعنة الدائمة على أعدائهم أجمعين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

وذكرهم بأيام الله

يقول الله تعالى في كتابه الكريم: (أَنْ أَخْرِجَ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكَرَهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ...)^١

نبارك لكم في البدء مولد الامام الرضا (عليه السلام) داعين الله سبحانه وتعالى ان ننال منه الرضا بل اسمى درجات الرضا بحق محمد وال محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)

تقول الآية المباركة (... وَذَكَرَهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ...) وهنا يبرز السؤال التالي: هل ان (التذكير بايام الله) يفيد في الآية الشريفة العلة المبقية المكملة للمقطع الأول من الآية التي افادت العلة المحدثه؟

(أيام الله) العلة المبقية للهداية

نقول: لا يبعد ذلك فان قوله تعالى (أَنْ أَخْرِجَ قَوْمَكَ) يشير الى العلة المحدثه، ثم ان من عوامل ودعائم الديمومة والاستمرار على الهداية هو ما أشار إليه تعالى ب: (وَذَكَرَهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ) فهذا العطف هو من قبيل عطف المباين على المباين بلحاظ ضميمه العلة المبقية الى العلة المحدثه، فان الانسان قد يخرج من الظلمات إلى النور الا انه . والعياذ بالله . قد يعود الى الظلمات من جديد، لكن الذي يحفظ إيمانه . بحسب الآية الشريفة . هو ان يُذَكَّرَ ويُتَذَكَّرَ ايام الله، على مدار الليالي والأيام.

وفي الاتجاه المقابل نجد ان بعض عملاء الاستعمار استهدفوا ايام الله، فاعتبروا اتخاذ يوم مولد سيد الكائنات وفخرها (صلى الله عليه وآله وسلم) عيداً ومحفلاً، بدعة!! فعندما نفرح ونسر ونبتهج بميلاد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) او ميلاد الإمام الرؤوف الإمام الرضا او سائر الائمة الاطهار (عليهم السلام)، أو بانتظار منتظرهم (عجل الله تعالى فرجه الشريف)، الامر الذي يحافظ على إيمان الأمة ويزيدها انشداداً إلى قيادتها الربانية السماوية الإلهية، يأتي حوارج العصر وشذاذ الافاق من سلف آل أبي سفيان فيعتبرون عمل المسلمين هذا بدعة ويكفروهم تعالياً منهم على كتاب الله وسنة نبيه (صلى الله عليه وآله وسلم).

(الموت والظهور والقيامة) من أيام الله

و(أيام الله) قسم منها يرتبط بمستقبل الزمن كما تشير إليه الروايات الواردة في تفسير القمي والعياشي وغيرهما ان المراد بايام الله:

١- الموت: وهو يوم من ايام الله وعلى الانسان ان يتذكر الموت دائماً فانه المرحلة النهائية الفاصلة في حياة الإنسان بعد ان خلق في العوالم السابقة (الظلال، الدر، الاجنة، وغير ذلك) ف: اما إلى جنة عرضها السماوات والأرض واما إلى نارٍ سجّرها جبارها لغضبه والعياذ بالله.

٢- يوم ظهور الامام المنتظر (عج): وعلينا ان نذكر الناس دائماً بهذا اليوم المبارك وان نتذكره دوماً فان ذلك من أهم عوامل صلاح المرء وإصلاحه، فإذا ما تذكر الانسان يومياً ان هناك سيديا يرعاه وان كل مايقوم به من صغيرة او كبيرة من كلمة او نظرة او خطرة فكر فانها تنعكس على شكل تقرير الى سيد الكائنات عجل الله فرجه الشريف في كل ثانية ثانية، فانه من المستبعد جدا لو كانت حالته هذه ان يعصي الله سبحانه وتعالى او ان يتكاسل عن خدمة أهل البيت (عليهم السلام).

ان يوم الظهور الميمون هو من أيام الله التي علينا ان نتذكرها ونذكر الناس بها دائماً وأبداً ونرجوا ان يكون ذلك اليوم قريبا بلطفه وكرمه لا باستحقاق منا.

٣- يوم القيامة: وهو كذلك من الأيام التي اشارت اليها الروايات الشريفة في كتب التفاسير.

هذا عن المستقبل وما ذكر كان تفسيراً بالمصداق، الا ان أيام الله تشمل بتصريح العديد من المفسرين وعموم الآية الشريفة وبعض الروايات^١ وقرائن أخرى عديدة^٢، ما ارتبط بأهم الأنبياء كطوفان نوح ونار إبراهيم وآيات موسى وغيرها وكذلك مثل يوم الإنذار، ويوم خيبر والغدير والمبعث النبوي الشريف وغير ذلك، والحاصل: ان أيام الله تمتد زمنياً وتغطي مساحة التاريخ القديم والحديث والمستقبل القريب والبعيد أيضاً.

وهنا نقتصر في التمهيد بهذا المقدار لضيق الوقت ونتحدث الآن عن الإمام الرضا (عليه السلام) لاننا نعيش اليوم مناسبة ولادته المباركة^٣: فنقول

ملمحان من ملامح عظمة ومظلومية الإمام الرضا (عليه السلام)

ان مولد الامام الرضا (عليه السلام) هو من أيام الله، وما جرى في حياته من الأحداث الكبرى^٤ أيضاً من أيام الله، بل ان نفس وجوده المقدس في تلك الأزمان ظاهراً ومشاهداً من قبل جميع الناس هو من أيام الله وسوف نتوقف عند ملمحين من ملامح عظمة ومظلومية الإمام الرضا (عليه السلام) في الوقت نفسه، فان هذين الملمحين والشاهدين كما انهما شاهدان على سمو منزلته وعلو رتبته وعظمة مكانته الا انهما في نفس الوقت . وباللاسف . يشهدان على مدى مظلوميته ومدى تقصيرنا في حقهم صلوات الله عليهم:

الملمح الاول: تراث الامام الضائع: ١٨ ألف مسألة!

الرواية التي نقلها بن شهر اشوب في مناقبه^٥ عن محمد بن عيسى اليقطيني وهو من اصحاب الامام الرضا (عليه السلام) فانه - أي اليقطيني - كتب كتاباً موسوعياً جمع فيه المسائل التي طرحت على الامام الرضا وأجاب عنها - حيث ان الامام كان في معترك الصراع الفكري والحضاري وصراع الحضارات والثقافات المختلفة فقد كان يواجه المسيحية واليهودية والصابئية والفاسقة والجائرة فكانت الاسئلة التي توجه له متنوعة اشد التنوع وعلى مستويات مختلفة أشد الاختلاف -.

فما جمعه محمد بن عيسى اليقطيني وحده عن الامام الرضا (عليه السلام) بلغ (١٨) ألف مسألة!! ونحن نتساءل: اين ذهبت كل هذا المسائل؟! ولماذا اختفت أو أخفيت؟ ألا يُعَدُّ ذلك من أكبر أنواع الظلم بحق الإمام الرؤوف (عليه السلام) وبحق المسلمين وبحق الإنسانية جمعاء: ان نحرم من أقواله وتراثه الشر الحافل بشتى انواع الحقائق واللطائف؟. ولو لاحظنا ما يوجد في كتاب (الاحتجاج) الذي جمعه الطبرسي مما يخص الإمام الرضا ومنه ما قاله عندما جمع المأمون النصارى والصابئية وغيرهم من الأديان الاخرى وواجهوه بأسئلة صعبة وناقشوه نقاشاً مستميتاً، وأجاب الامام عنها بكلام فوق كلام المخلوقين ودون كلام الخالق، بحيث ابهر العلماء والمفكرين من كل الاديان والملل والطوائف الدينية والفكرية انذاك. وان ثمانية عشر الف مسألة لتحتوي على كم هائل من الكلام الرباني العلمي ولعل بعض المسائل تبلغ أجوبتها صفحة او اقل من ذلك او اكثر^٦.

ولو فرضنا كمعدل ان كل (٦) مسائل مع اجوبتها تشكل صفحة واحدة على أقل الفروض فسيكون هناك (٣) آلاف صفحة حافلة بالمطالب! أي ما يعادل (٦) مجلدات كل مجلد يحتوي على (٥٠٠) صفحة!!

^١ كما فيما رواه البحار عن أمالي الطوسي (... قال رسول الله: أيام الله نعماءه وبلاؤه ومثأله سبحانه... البحار ج ٦٧ ص ٢٠.

^٢ مثل ذكر (يوم الكره) بدل (يوم الموت) في بعض الروايات - مستدرک سفينة البحار للنمازي ج ١٠ ص ٦١١ - فان شاهد على ان التفسير كان بالمصداق.

^٣ كان بحثنا حسب المنهج الذي اعددناه، عن بعض الآيات التي تتحدث عن (الكذب) والجوانب الاخلاقية فيها، الا اننا عدلنا عن ذلك لمناسبة مولد الإمام الرضا (عليه السلام)، فان في ذلك البركة ان اشاء الله تعالى (منه دام ظله).

^٤ بل مطلقاً.

^٥ مناقب آل أبي طالب المجلد ٣ ص ٤٦١ قال محمد بن عيسى اليقطيني (لما اختلف الناس في أمر أبي الحسن الرضا عليه السلام جمعت من مسائله مما سئل عنه وأجاب فيه ثمانية عشرة ألف مسألة).

^٦ بل قد تبلغ عشرة أو عشرين صفحة.

الا اننا لانجد هذا التراث الكبير الآن! وما ذلك الا لتقصير الامة بحق سادتها وقادتها (صلوات الله عليهم) في المحافظة أشد المحافظة على آثارهم وتراثهم، فان من الواضح ان الظلمة مهمتهم محاربة الحق والحقيقة والسعي لإبادة هذه الآثار لكن اين هم المؤمنون؟ ولماذا قصروا في اوصول ذلك التراث الى الاجيال القادمة؟ اننا الان نعزز كثيرا بكتاب الرسائل للشيخ الانصاري وندرسه وندرسه سنين طويلا لاننا نعتبره ثروة علمية هائلة لكن اين (الرسائل) من كلام المعصوم ومن إجاباته على ١٨ ألف مسألة!!
اننا نتألم لسماع ذلك حقا ولكن ماذا عن ما وصلنا عنهم (صلوات الله عليهم) فانه ليس بالشيء القليل فهل أولينا ما يوجد في ايدينا من الكتب والروايات عنهم الاهتمام؟ وهل اطلعنا عليها او قرانها عن اخرها؟! وهل نشرناها في العالم ليطلع العالم عليها؟
ان بعض المحققين جمع الروايات الموجودة عن الامام الرضا (عليه السلام) بحسب تتبعه، فوجد ما يتجاوز (٢٠٠٠) رواية عن الامام (عليه السلام)... فاین جامعاتنا ومدارسنا عن هذه الروايات؟ هل يعرفها الشرق او الغرب؟ بل هل توجد في بيوتنا على الأقل؟! فكتاب الاحتجاج مثلا لا يوجد في بيوت الكثير منا، وان وجد فلا يطلع عليه إلا القليل النادر، وكذلك تحف العقول والكتب الاربعة وغير ذلك من مصادرنا المعتبرة.

فاذا كان الكثير من تراث اهل البيت عليهم الصلاة والسلام قد تلف فان ما وصل إلينا فيه النور والخير والبركة والحكمة فهل كان اهتمامنا به بقدر يرفع تقصيرنا بحق ائمتنا وموالينا صلوات الله عليهم؟.

ان هناك الكثير من الكتاب والفضائيات وخطبائنا الكرام الذين يقومون بجهد استثنائي جبار في نشر علوم اهل البيت عليهم السلام لكن المسؤولية اكبر من ذلك بكثير، كما ان خطبائنا الكرام يتحدثون عن بعض كلماتهم (صلوات الله عليهم) إلا ان الكثير من كلمات الائمة لا تذكر وقد يعلل ذلك بان الجمهور ليس بمستوى قسم كبير من كلامتهم (عليهم السلام) لكن علينا ان نبين لهم ونشرح ونوضح إضافة إلى ان شريحة كبيرة من المستمعين هم من خريجي الجامعات والمتخصصين وغيرهم ممن يهتمون بالمباحث المعقدة ومن تستهويهم

الملح الثاني: ٢٠ الف راوي يكتب كلام الامام الرضا (عليه السلام)!

والرواية الآتية هي رواية مشهورة وسوف نتوقف عند نهاية هذه الرواية وهي موجودة في مصادر الفريقين وسوف نقلها من احد مصادر العامة^١ لئلا يقال ان ذلك مدرسة اهل البيت فقط:

"يقول: فائدة في تاريخ نيسابور للحاكم ان علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين (عليهم السلام)

لما دخل إلى نيسابور في قبة مستورة على بغلة شهباء وقد شق بها السوق فعرض له الإمامان الحافظان أبو زرعة الرازي ومحمد بن أسلم الطوسي ومعهما خلائق لا يحصون من طلبة العلم وأهل الأحاديث وأهل الرواية والدراية فقالا أيها السيد الجليل ابن السادة الأئمة بحق آبائك الأطهرين وأسلافك الأكرمين إلا ما أربتنا وجهك الميمون المبارك ورويت لنا حديثا عن آبائك عن جدك محمد صلى الله عليه وآله نذكرك به

فاستوقف غلمانه وأمر بكشف المظلة عن القبة وأقر عيون تلك الخلائق برؤية طلعتة المباركة فكانت له ذؤابتان على عاتقه والناس كلهم قيام على طبقاتهم ينظرون إليه وهم ما بين صارخ وبكاء وتمرغ في التراب ومقبل لحافر بغلته وعلا الضجيج فصاح الأئمة والعلماء والفقهاء: معاشر الناس أسمعوا وعوا وأنصتوا لسماع ما ينفعكم ولا تؤذونا بكثرة صراخكم وبكائكم وكان المستملي أبو زرعة ومحمد بن أسلم الطوسي

فقال علي بن موسى الرضا عليهما السلام: حدثني أبي موسى الكاظم عن أبيه جعفر الصادق عن أبيه محمد الباقر عن أبيه علي زين العابدين عن أبيه الحسين شهيد كربلاء عن أبيه علي المرتضى^٢ قال حدثني حبيبي وقره عيني رسول الله صلى الله عليه وآله قال

^١ راجع فيض القدير شرح الجامع الصغير من احاديث البشير النذير محمد عبد الرؤوف المناوي، المجلد ٤ ص ٦٤١ حرف القاف

^٢ ونفس تلاوة الأسماء وقرأتها بركة عظيمة فان ذكرهم بأجمعهم عبادة وأي عبادة!

حدثني جبرائيل قال سمعت رب العزة سبحانه تعالى يقول كلمة لا إله إلا الله حصني فمن قالها دخل حصني ومن دخل حصني أمن عذابي ثم أرخى الستر على القبة وسار. فعدوا أهل المحابر والدوي الذين كانوا يكتبون فأنافوا على عشرين ألفاً
وهنا نتوقف قليلاً نقول الرواية ((..فعدوا أهل المحابر والدوي الذين كانوا يكتبون فأنافوا على عشرين ألفاً)). اذ قل ان يحدث ان يكتب عشرون ألف عالم وروا ويقرروا ما يكتبه أستاذ أو إمام أو مرجع تقليد أو خطيب.

بل ان الرواية هنا تقول (.. فعدّ أهل المحابر..). إذ المستظهر انهم اغفلوا الكثير ممن كان يكتب لان العد في ذلك الزمن لم يكن بالامر الهين خاصة وان الناس كانوا بين راجل وراكب فرساً أو بعيراً أو حماراً أو غير ذلك فكان عددهم جميعاً أشبه بالمتنع.. إذن فقد عدّوا من تيسر لهم فكانوا عشرين ألفاً!

ولنلاحظ امراً آخر أيضاً إذ الامور تعرف بقياساتها: فانه لم يكن سكان المعمورة انذاك كما عليه الان. فقد وصل سكان الارض الآن الى اكثر من (٧) مليار نسمة فيما لم يكن في تلك الاعصار يتجاوز عشرات الملايين، فلعل البشر الان اكثر من (٧٠) ضعف تلك الازمان الغابرة وذلك لبعض القرائن والمناسبات وان كان الامر يحتاج الى تحقيق تاريخي أوسع.

فقد تجاوز الشعب العراقي مثلاً الان (٣٣) مليون نسمة فيما لم يكن في سنة ١٩٢٠ الخمسة ملايين فانه خلال (٨٠) سنة تضاعف العراق اكثر من ستة اضعاف تعداده الحالي^١!!

وما نريد ان نقوله هنا حول الرواية الانفة لو اننا ضربنا (٢٠) عالم او راوي ب (٧٠) ضعفاً كما قدرنا - فسوف يعادل العشرون ألف راو، مليوناً وأربعمائة ألف راو بمقاييس هذا الزمن!

وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد واله الطيبين الطاهرين